مدرسة الإسكندرية

يسوع المسيح رجل الصلاة (٢)

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس

نيافة أنبا هرمينا

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثامن - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٨

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس (٢)

نيافة أنبا هرمينا

مدرسة الإسكندرية

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المُقدَّس(٢)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

تمهيد:

استعرضنا في المقال السابق مكانة الصلاة في حياة الرب يسوع وظهوره كمَثَال ونموذج حيّ لرجل الصلاة، حتى صار جديرًا، بحقٍّ، أن يُردِّد قول المُرنِّم عنه،بالنبوّة، قائلاً: «أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ» (مز١٠٩: ٤). وتطرَّقنا إلى رؤيَّة الآباء عن البُعْد اللاهوتي للصلاة في حياة السيد المسيح، ثم قمنا بحصر مبدئي لجميع صلوات السيد المسيح في البشائر الأربعة وقسَّمناها إلى مجموعاتٍ حتى يَسهُل دراستها. وسنبدأ في هذا المقال بدراسة تلك الصلوات من عدة وجوه، لغويًّا ولاهوتيًّا وروحيًّا، مع الاستعانة ببعض شروحات الآباء لها. وقد كانت **المجموعة الأولى**، بحسب التقسيم الذي قمنا به، عن **مكانة الصلاة في حياة الرب يسوع اليوميَّة**، ونجدها في الشواهد الآتية: مت١٤: ٢٣؛ مر١: ٣٥؛ ٦: ٤٦؛ لو٥: ١٦؛ ٦: ١٢؛ ١١: ١؛ وغيرها. ومنها نستقي بعض المفاهيم الهامة للصلاة والتي كان الرب يسوع نفسه يُعلِّم ويعمل بها على خلاف ما ترسَّخ في وجدان وفكر الإنسان اليهودي في ذلك الوقت، وخاصةً ما يتعلَّق بمكان وزمان الصلاة ومُحتواها. ومفاتيح تلك المفاهيم نجدها ما بين عبارات تلك الآيات:

«**وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا** قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى **مَوْضِعٍ خَلاَءٍ** وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ» (مر١: ٣٥).

«وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ **مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ**» (مر٦: ٤٦).

«وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ **صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ** كَانَ هُنَاكَ **وَحْدَهُ**» (مت١٤: ٢٣).

«وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ **يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي** وَيُصَلِّي» (لو٥: ١٦).

«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ **خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ** فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ» (لو٦: ١٢).

«وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي **عَلَى انْفِرَادٍ** كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ» (لو٩: ١٨).

«وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: **يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ** كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ» (لو١١: ١).

إن البُعد الزماني لصلوات السيد المسيح يظهر في تلك العبارات: «**فِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا**»، «**وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ**»، «**اللَّيْلَ كُلَّهُ**». أمّا البُعد المكاني للصلاة فتُعبِّر عنه عبارات: «**مَوْضِعٍ خَلاَءٍ**»، «**صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا**»، «**وَحْدَهُ**»، «**مَضَى إِلَى الْجَبَلِ**»، «**خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ**»، «**يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي**»، «**عَلَى انْفِرَادٍ**». وأمّا عن مُحتوى تلك الصلوات، التي نحن بصدَدِها، فلم يشر إليها الإنجيليون، وذلك بالطبع لاعتزال الرب يسوع تلاميذه أثناء الصلاة. غير أنَّه في أحيانٍ أخرى عندما أراد السيد المسيح الإعلان عن بعض الحقائق للآخرين، فقد كان يُصلِّي أمامهم جهارًا[1]. إصغاء التلاميذ لبعض تلك الصلوات جعلهم شغوفين لتعلُّم تلك الصلوات، والتي رُبَّما كانت جديدة على مسامعهم كيهود. هذا الشغف جعلهم يطلبون من السيد المسيح بطريقةٍ مُباشِرة: «**يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ**»، وهو بدوره علَّمهم الصلاة الربَّانيّة.

البُعد الزماني للصلاة في حياة الرب يسوع اليوميَّة:

لقد اعتاد السيد المسيح أن يُصلِّي في أيّ وقتٍ من اليوم، ولكنه كان دائمًا ينتقي ساعات اليوم الأكثر هدوءًا، حيث الناس نيام، لينفرد مع الآب في صلوات طويلة. وكان ذلك إمّا في الصباح الباكر، أو السهر طوال ساعات الليل. فهو يُصلّي كابن حقيقي لداود، الذي كان يلتمس الله باكرًا جدًّا[2]، حيث تكون الروح في أوج نشاطها وحيويتها. فقد قيل: "إن الصباح الباكر هو صديق للإلهام" *Aurora Musis amica*؛ وبالتأكيد هو ليس أقل من أن يكون

[1] انظر: مت١١: ٢٥؛ لو٣: ٢١؛ يو١١: ٤١؛ ١٧: ١.

[2] انظر: مز١١٩: ١٤٧.

كذلك للنعمة[٣]. فمَن هو الأول والأهم، يجب أن تُعطَى له أول وأهم ساعات اليوم.

فنجد أن وقت صلاة السيد المسيح في مر١: ٣٥ هو «**في الصبح باكرًا جدًّا**»، والعبارة في أصلها اليوناني πρωΐ ἔννυχα λίαν ، هي مزيج خاص بين ثلاثة ظروف؛ ظرف الزمان πρωΐ بمعنى "الصباح الباكر أو فجرًا"، وهو بحسب التوقيت اليهودي يُدعَى الهزيع الرابع من الليل، من الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة صباحًا[٤]. وظرف الزمان ἔννυχα ، والذي يتكوَّن من حرف الجر ἐν "في"، و νύξ "ليل"، ويعني "ليلاً، والظلام باقٍ" [٥]. مع إضافة الظرف λίαν بمعنى "جدًّا"، لتضيف قوة للمعنى. إذن، إن انتقاء تلك الظروف الثلاث معًا تُحدِّد لنا ذلك الوقت بدقة، وهي فترة الصباح الباكر والظلام باقٍ قبل شروق الشمس، بين الساعة الثالثة والسادسة صباحًا.

كما أن فعل الصلاة في هذه الآية هو προσηύχετο من الفعل προσεύχομαι في زمن الماضي المُستمِر المبني للمتوسِّط، ليؤكِّد على طول وقت الصلاة، فهو يرسم لنا صورة رائعة لحرص السيد المسيح على الصلاة طوال ساعات الصباح الأولى، مُبتغيًّا الهدوء، حيث الكل نيام[٦].

وفي مت١٤: ٢٣ كان وقت الصلاة هو «**الْمَسَاءُ**»، بعدما اشبع السيد المسيح الجموع في معجزة الخمس خبزات والسمكتيْن ثم صرفه إيّاهم. وكلمة المساء في هذه الآية في أصلها اليوناني هو Ὀψία، وهي الاسم المؤنث من كلمة ὀψίος، والتي تدل ضمنًا على ساعة متأخرة من المساء. فالتوقيت اليهودي به مسائيْن، الأول يبدأ من الساعة التاسعة؛ أي الثالثة عصرًا حتى

---

[3] Henry, Matthew: *Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume*, (Peabody: Hendrickson, 1998), See Mk 1: 35.
[4] Friberg, Timothy; Friberg, Barbara; Miller, Neva F.: *Analytical Lexicon of the Greek New Testament*, (Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 2000), 337.
[5] Thomas, Robert L.: *New American Standard Hebrew-Aramaic and Greek Dictionaries: Updated Edition*, (Anaheim: Foundation Publications, Inc., 1998), H8674.
[6] Bratcher, Robert G.; Nida, Eugene Albert: *A Handbook on the Gospel of Mark*, (New York: United Bible Societies, 1993), 60.

غروب الشمس، والآخر يبدأ مع غروب الشمس حتى الساعة الأولى من الليل، وهو المقصود بالمساء في هذه الآية (قارن مع مت١٤: ١٥) [٧].

أمّا في لو٦: ١٢ فقد قضى السيد المسيح «**اللَّيْلَ كُلَّهُ**» في الصلاة. وهذه العبارة في أصلها اليوناني هي διανυκτερεύων، وتتكوَّن من διά "خلال"، و νυκτερεύω وهي كلمة مُشتقَّة من كلمة νύξ "ليل"، فمعنى الكلمة هو "to pass the night" [٨]. وكلمة "ليل" بحسب التوقيت اليهودي ينقسم إلى أربعة أقسام، كل قسم يُدعَى هزيع ويتكوَّن من ثلاث ساعات، أي اثنتي عشرة ساعة[٩]. وهذا يعطي لنا ملمح عن حرص السيد المسيح على سهر الليل في الصلاة والذي كان يؤكِّد عليه في تعليمه[١٠].

البُعد المكاني للصلاة في حياة الرب يسوع اليوميَّة:

برغم أن السيد المسيح كان يُمجِّد الله بأعماله، حيث كان يجول يصنع خيرًا، ويكرز بملكوت الله، لكنه كان يتحيَّن الفُرصة ليكون وحده مع الآب ليُصلِّي، وبذلك يستطيع أن يكمل كل بر. فمبدأ الاختلاء أو الخلوة مع الله، كان يتبوّأ مكانًا بارزًا في حياة الرب يسوع، فقد بدأ أولاً خدمته، بعد العماد في نهر الأردن، بدعوة للخلوة لمدة أربعين يومًا، عندما «أُصْعِدَ يَسُوعُ **إِلَى الْبَرِّيَّةِ** مِنَ الرُّوحِ» (مت٤: ١). وقد ظل خلال فترة خدمته على الأرض يتحيَّن كل فرصةٍ ليختلي فيها مع الآب، كقول لوقا البشير: «وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ **يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي** وَيُصَلِّي» (لو٥: ١٦). وفي تعليمه عن الصلاة، شدَّد على مبدأ الاختلاء فيها عندما قال: «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ **فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ** وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ» (مت٦: ٦).

---

[7] Zodhiates, Spiros: *The Complete Word Study Dictionary: New Testament*, (Chattanooga, TN: AMG Publishers, 2000), G3798.
[8] Ibid, G1273.
[9] Kittel, Gerhard; Friedrich, Gerhard; Bromiley, Geoffrey William: *Theological Dictionary of the New Testament*, (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 1995), 661.
[١٠] انظر: مت٢٦: ٤١؛ مر١٤: ٣٨؛ لو٢٢: ٤٦.

ولقد سار الرسل على نهج السيد المسيح هذا، وهو ما نجده واضحًا في حياة بولس الرسول الذي بعدما تحوَّل إلى المسيحيّة، التمس الخلوة والسكون ليكون مُستعِدًّا للخدمة التي أُوكِلَت إليه، فانطلق إلى «الْعَرَبِيَّةِ» (غل١: ١٧). كما أن المرات العديدة التي فيها أُلقيَّ به في السجن، تحوَّلت إلى فُرَص لخلوات مُثمرة مع الله، على الرغم من أنها كانت إجباريَّة. ففي رسالته إلى أهل أفسس يقول عن نفسه إنه: «أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف٣: ١)، واثقًا بأن الرب نفسه يعمل من خلال أغلاله، رافضًا فكرة أنه ضحيَّة لطغيان اليهود والرومان. وقد كتب أثناء تلك الفترات التي قضاها في السجن رسائل عديدة، تُغذِّي روحيًّا ملايين المؤمنين خلال ألفي عام تقريبًا وحتى الآن[١١].

كذلك فإن آخر سفر في الكتاب المُقدَّس، وهو سفر الرؤيا، أُوحيَّ به ليوحنا الرسول وهو منعزلاً في جزيرة بطمس. ففي أثناء صلواته للرب، سمع صوتًا، ورأى رؤيّةً، وأُعطيَّت له لمحة عن نهاية تاريخ العالم والكنيسة على الأرض، وأخرى عن السماء.

أمّا عن الأماكن التي كان يلجأ إليها السيد المسيح للصلاة فهي تعكس تعليمه المُباشر لتلاميذه ولجموع الشعب عن الصلاة في الخفاء[١٢]. لذلك فإن أغلب الصلوات التي أشار إليها البشيرون كانت والسيد المسيح «**وَحْدَهُ**»[١٣] μόνος، أو بحسب تعبيرهم، كانت صلواته «**عَلَى انْفِرَادٍ**»[١٤] κατὰ μόνας أو «**مُنْفَرِدًا**»[١٥] κατ᾽ ἰδίαν . ولكي يُحقِّق هذا الانفراد في الصلاة، كان كثيرًا ما ينسحب من بين الجموع، تاركًا حتى تلاميذه، ويمضي إلى «**مَوْضِعٍ خَلاَءٍ**»[١٦] ἀπῆλθεν εἰς ἔρημον τόπον ، أو يمضي

---

[11] Eyre, Stephen D.: *Drawing Close to God: The Essentials of a Dynamic Quiet Time: A Lifeguide Resource*, (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1997).

[١٢] انظر: مت٦: ٥، ٦.

[١٣] انظر: مت١٤: ٢٣.

[١٤] انظر: لو٩: ١٨.

[١٥] انظر: مت١٤: ٢٣.

[١٦] انظر: مر١: ٣٥.

«**إِلَى الْجَبَلِ**»[١٧] εἰς τὸ ὄρος، أو «**يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي**»[١٨] ὑποχωρῶν ἐν ταῖς ἐρήμοις.

وإذا نظرنا إلى عبارة «**مَوْضِعٍ خَلاَءٍ**» ἔρημον τόπον ، نجدها هي نفس الكلمة التي تُرجِمَت إلى كلمة «**الْبَرَارِي**» ἐρήμοις . فكلمة ἔρημος والتي تعني: "خالٍ، قاحل، فارغ، بريَّة، قفر"، تُركِّز بصفة مبدئيَّة، عبر العهد الجديد، على مبدأ خلوّ الموضع من السكان أكثر من افتقاره للحياة من نبات وحيوان، وهو أمرٌ شائع في فلسطين[١٩]، فلكي يعتزل السيد المسيح الجموع، كان ليس عليه أن يخرج إلى الصحراء، لأن الموضع الخلاء، بالنسبة للرب يسوع، هو الموضع الذي كان يستطيع فيه الانفراد في صلوات طويلة مع الآب، بعيدًا عن الجموع التي كانت لا تكفّ عن طلبه. إذًا، فإنه كان يبتغي أمرًا طالما علَّم به وهو مخدع الصلاة[٢٠] ταμιεῖον [٢١]. وهذا الأمر واضحٌ جدًّا في مر١: ٣٥، لأن البشير يُشير إلى أن السيد المسيح قد «قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى **مَوْضِعٍ خَلاَءٍ** وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ»، وكان هذا الأمر في كفر ناحوم، حينما كان يبيت في بيت سمعان بطرس، ومن المعروف أنه لا يوجد صحراء حول بلدة كفر ناحوم[٢٢].

كذلك بصعود السيد المسيح «**إِلَى الْجَبَلِ**» τὸ ὄρος مُنفردًا ليُصلّي، كما في (مت١٤: ٢٣؛ مر٦: ٤٦؛ لو٦: ١٢)، كأنه يصعد بالبشريَّة به وفيه لتلتقي مع الآب السماوي. إنه الوسيط الذي يشفع فينا أمام الآب في السماء، كما يشرح ذلك **القديس أغسطينوس** قائلاً:

---

[١٧] انظر: مر٦: ٤٦؛ لو٦: ١٢؛ ٩: ٢٨.

[١٨] انظر: لو٥: ١٦.

[19] Louw, Johannes P.; Nida, Eugene Albert: *Greek-English Lexicon of the New Testament: Based on Semantic Domains*, (New York: United Bible societies, 1996), 1: 16.

[٢٠] انظر: مت٦: ٦.

[21] Kittel, Gerhard (Hrsg.); Bromiley, Geoffrey William (Hrsg.); Friedrich, Gerhard (Hrsg.): *Theological Dictionary of the New Testament*, (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1976), 2: 658.

[22] Brooks, James A.: *The New American Commentary*: *Mark*, (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001), 53.

"هذا الجبل يُشير إلى علوِّ السماء ... فبعد قيامة الرب من الأموات صعد **وحده** إلى السماء، وهناك، كما يقول الرسول، «يشفع فينا» (رو٨: ٣٤). هناك، إذن، بعض المعاني لصرفه الجموع وصعوده إلى الجبل **مُنفردًا** ليُصلّي. فهو **وحده** «البكر من الأموات» (كو١: ١٨)، بعد قيامته وجلوسه عن يمين الآب، رئيس الكهنة والشفيع لصلواتنا. فإن رأس الكنيسة في الأعالي، حيث سيتبعه في النهاية بقيَّة الأعضاء"[٢٣].

بالإضافة إلى ذلك، فهو يترك لنا مثالاً نحتذي به، فسلوك الرب هذا هو رمزٌ لروح وممارسة الصلاة، كقول **القديس يوحنا ذهبي الفم**:

"ما هو الهدف من صعوده إلى الجبل؟ إنه يريد أن يكشف لنا أهميَّة الاعتزال والخلوة، حينما نُصلّي لله. من هذا المُنطَلَق، ترى أنه كثيرًا ما كان يعتزل في البراري، وهناك كثيرًا ما كان يقضي الليل كله في الصلاة، مُعلِّمًا إيّانا أهمية التماس السكون في صلواتنا، بحسب ما يمنح لنا الوقت والمكان ذلك. فإن البريَّة هي أم السكون؛ فهي الهدوء والمرفأ، التي تحمينا من كل اضطراب"[٢٤].

ما هي، إذن، الفوائد التي ستعود علينا من محاكاتنا لمَثَال مُخلِّصنا في الاعتزال والخلوة أثناء الصلاة؟ أولاً، يجب أن ننتبه إلى أن الفرضيَّة بأن التلميذ لا يجب أن يُحاكي مُعلِّمه في كل شيء، هو ضربٌ من الحماقة. يقول السيد المسيح: «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ» (لو٦: ٤٠)؛ «يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ» (مت١٠: ٢٥). فالخلوة، إذن، مُستحبَّة من أجل الهدوء الذي تُقدِّمه، وهو ما ينعكس على حالة العقل من الاستغراق وعدم التشتُّت، ليؤدِّي الأعمال الروحيَّة العالية، كالصلاة. كذلك، فإن الخلوة في الصلاة، تُنبِّهنا إلى الحقائق الروحيّة وتجعلها أكثر قُربًا للوعي والقلب، مما يسمح لنا أن نُدرِك بأكثر

---

[23] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit by: Schaff, Philip, First Series, Vol. VI, (Oak Harbor: 1997), *Sermons on Selected Lessons of the New Testament, Sermon XXV:*3, p. 337.
[24] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* First Series, Vol. X, *Homilies on Matthew, Homily L:* 1, p. 310.

عُمقًا ما هي اهتماماتنا الفرديَّة على حقيقتها، وما هي عاقبتها. كذلك، فإن تعزيز حياة الإيمان، في مُقابل حياة تقتصر على رغبات العالم الحاضر، لا يتأتَّى إلاّ عن طريق الخلوة في مخدع الصلاة.

مُحتوَى صلوات السيد المسيح:

لم يشر الإنجيليون، كما أسلفنا، إلى مُحتوَى تلك الصلوات التي نحن بصَدَدِها، ولكن بالنظر إلى الظروف التي أحاطت بالسيد المسيح أثناء تلك الصلوات يمكننا أن نستشفّ كنهها.

لقد انتقى مرقس الرسول ثلاث مناسبات فاصلة من حياة السيد المسيح، راسمًا إياه وهو في موقف الصلاة، وفي كل مناسبة كانت الخلفيَّة هي ظلام الليل والانفراد. وفي حين أنه لم يشر إلى مُحتوَى الصلاة في المناسبة الأولى والثانية، إلاّ أنه ذكرها في الثالثة، وهو ما أجمع عليه البشيرون. وقد كانت المناسبة الأولى في بداية إنجيله (مر١: ٣٥)، والثانية في منتصفه (مر٦: ٤٦)، والثالثة قرب نهايته (مر١٤: ٣٢-٤٢). وكانت الثلاث مناسبات تتَّفِق على مواجهة السيد المسيح إمكانيَّة تحقيق مهمته المسيانيَّة بطريقةٍ أكثر جاذبيَّة وأقل تكلفة، ولكنه في كل مرةٍ كان يكتسب القوة عن طريق الصلاة[٢٥].

ففي مر١: ٣٥، كانت صلواته بعد يوم حافل بالمعجزات، فبعدما شفى حماة سمعان بطرس من الحُمَّى، «كَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ. فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً» (مر١: ٣٣-٣٤). لقد كان على وشك أن يبدأ جولته الأولى للكرازة، فلم يلتفت إلى بهاء المجد الذي أحاط به في كفر ناحوم بعد تلك المعجزات، مما حدا بتلاميذه القول: «إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ» (مر١: ٣٧)، ولكنه تفرَّغ للصلاة خلال ساعات النهار الأولى الهادئة، واضعًا نصب عينيه العمل الذي وُضِع قباله، ساكبًا نفسه في حضن مَن أرسله، مُتمتِّعًا ببعض الساعات المتواصلة في شركة مع أبيه

[25] Walvoord, John F.; Zuck, Roy B.; Dallas Theological Seminary: *The Bible Knowledge Commentary: An Exposition of the Scriptures*, vol. II, (Wheaton, IL: Victor Books, 1985), 110.

قبل أن يجده بطرس ومن معه، فيقول لهم: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضاً **لأَنِّي لِهَذَا خَرَجْتُ**» (مر١: ٣٨). وبذلك أكمل الوصف النبوي لإشعياء النبي عن عبد الرب البار[٢٦] الذي يقف أمام الآب كل صباح[٢٧].

أمّا المناسبة الثانية، فقد كانت بعدما اشبع السيد المسيح الخمسة آلاف، والتي أراد بعدها الشعب أن يُنصِّبه ملكًا عليهم، كما يشير يوحنا الرسول في إنجيله، ولكنه «انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ» (يو٦: ١٥)؛ أو كما يقول مرقس الرسول: «مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ» (مر٦: ٤٦). فماذا كان مُحتوَى تلك الصلاة؟ يشرح ذلك **العلاّمة أوريجانوس** قائلاً:

"«مضى إلى الجبل ليُصلّي»؛ مِن أجل مَن كان يُصلّي؟ هل كان يُصلّي من أجل الجموع، الذين بعدما انصرفوا بعد تناولهم لخبزات البركة، لا يفعلون أمرًا يُعارض صرفه إيّاهُم؟ أم أيضًا من أجل التلاميذ الذين بعدما ألزمهم ليدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العَبْرِ، لا يَمسَّهُم أمر رديء في البحر ولا من الرياح المعاكسة؟ أستطيع أن أقول، بكل ثقة، إنه بسبب صلوات يسوع للآب من أجل التلاميذ، لم يَمسَّهُم سوء عندما هاج عليهم البحر والأمواج والرياح المعاكسة" [٢٨].

إذن، فمُحتوَى صلاته في هذا المشهد، كان على الأرجح، جزء كبير منه، من أجل تلاميذه لئلا يخور إيمانهم. إن هذا المشهد هو صورة واضحة للكنيسة والرب اليوم؛ فأبناء الله في بحر هذا العالم، في وسط العاصفة، ولكن السيد المسيح في السماء «يَشْفَعُ فِينَا» (رو٨: ٣٤). لقد رأى تلاميذه وعَلِم ما وقعوا فيه من مأزق[٢٩]، تمامًا كما يرانا هو ويَعْلَم احتياجاتنا. إنه يَشعُر بما نَشعُر به من

---

[٢٦] انظر: إش٥٠: ٤.

[27] Wiersbe, Warren W.: *The Bible Exposition Commentary*, (Wheaton, Ill.: Victor Books, 1996), Mk 1: 35.

[28] *The Ante-Nicene Fathers, Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D.* 325, edit. by: Roberts, Alexander; Donaldson, James; Coxe, A. Cleveland, Vol. X, *Origen's Commentary on the Gospel of Matthew, Book XI:* 6, (Oak Harbor: 1997), 435.

[٢٩] انظر: مر٦: ٤٨.

ضيق ويَعْلَم ما نمر به، «لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ» (عب٤: ١٥).

وبالمثل، جاءت عبارة لوقا الرسول عن اعتزاله في البراري للصلاة (لو٥: ١٦)، بعدما: «ذَاعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ» (لو٥: ١٥). فحاجته للصلاة أمام ذلك يَنُمُّ عن عدة حقائق: أولاً، الحاجة إلى الهدوء الداخلي. فيسوع المسيح له عاطفة هي الأرهف والأصدق، وهي ثابتة غير مُتغيِّرة، شديدة الخصوصيَّة؛ بصفة عامة كافية لاحتواء الجموع، وأيضًا هي كافية لاحتواء كل فردٍ على حِدَى. وهو ما يجعلنا، إذن، أن نتصوَّر كَمّ الارهاق البدني والنفسي في نهاية مثل هذه الأيام المزدحمة بالأعمال والأشفية. ثانيًا، شعوره بالحزن الشديد على الفتور الروحي الذي كانت تُعاني منه الجموع التي كانت تطلبه بكل لهفةٍ، والتي كان يهمّه أمرها[٣٠]. ثالثًا، الحاجة إلى شحذ الهمّة والتأكيد على إتمام العمل المنوط به والذي تجسَّد من أجله، والذي هو راسخٌ في وعيه مقابل جميع التحدِّيات. فإنه يعي تمامًا الخطر من الشعبيَّة الجارفة على مهمته الأساسيَّة، والتي يمكن أن تتعطَّل بسببها، لذلك كانت الصلاة هي الحافظ الحقيقي ضد خطر المجد الشعبي، وما يمكن أن يترتَّب عليه. رابعًا، هو يريد أن يُعطي لتلاميذه ـ ولنا ـ نفسه مَثَالاً ونموذج لتعليمه عن إدانته للتباهي والرياء في الصلاة كما كان يفعل شيوخ اليهود[٣١]. يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"قد يتساءل أحدهم قائلاً: إذن فما الذي يحتاجه ذلك الذي له، بحق طبيعته، كل ما للآب؟ لأنه قال بوضوح: «كل ما للآب فهو لي» (يو١٦: ١٥) ... وما الذي يحتاج أن يأخذه من الآب، كما لو لم يكن له من قبل؟ وما الذي يُصلِّي لأجله إن كان هو ممتلئًا ولا يحتاج إلى شيء مما للآب؟ نجيب على هذا فنقول: إنه بحسب طريقة التدبير في الجسد، فهو يسمح لنفسه أن يُمارس الأعمال البشريَّة حينما يريد، وكما تستلزم المناسبة دون أن يُلام لأنه

---

[٣٠] انظر: مت٩: ٣٦.

[٣١] انظر: مت٦: ٥.

فعل هذا. فإن كان قد أكل وشرب ونام، فلماذا يكون من غير المعقول ـ وهو قد وضع نفسه إلى مستوانا، وأكمل البرَّ البشري ـ أن يُقدِّم الصلاة أيضًا؟ ومع ذلك فهو بالتأكيد غير محتاج إلى شيء ... فلأي سبب إذن، ولأي واجب ضروري ونافع قد صلَّى هو؟ لقد فعل هذا لكي يُعلِّمنا ألاّ نتراخَى في هذا الأمر بل بالحريِّ أن نكون مداومين على الصلاة وبإلحاح شديد، ولا نقف في وسط الشوارع. فهذا ما اعتاد أن يفعله بعض اليهود، أي الكتبة والفريسيون. ولا نجعل هذا فُرصة للتباهي، بل بالحري نُصلِّي على انفراد وبهدوء، أي نتحدَّث بيننا وبين الله وحده، بذهن نقي غير مُشتَّت ... لأنه من الصواب أن يكون رأسنا ومُعلِّمنا في كل عمل صالح ونافع، ليس آخر سوى المسيح الذي هو بكر بين الجميع ... لذلك فإن رأيته يُصلِّي كإنسان، فذلك إنما لكي تتعلَّم أنت كيف تُصلِّي، وإياك أن تبتعد عن الإيمان والاعتقاد أنه إذ هو بالطبيعة الله الذي يملأ الكل، فإنه صار مثلنا ومعنا على الأرض كإنسان، وتمَّم كل الواجبات البشريَّة حسبما اقتضَى التدبير، ولكنه مع ذلك فهو الجالس في السماء مع الآب، يُوزِّع من ملئه الخاص" (تفسير إنجيل لوقا، عظة ٧٠)[٣٢].

وأخيرًا، إذا نظرنا إلى المشهد الذي انفرد به لوقا البشير في بشارته، حيث يقول: «وَإِذْ كَانَ **يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ** لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: **يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ** كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ» (لو١١: ١). فإنه لم يشر إلى كون تلك الصلاة هي صلاة خاصة للسيد المسيح، أم كانت ضمن صلوات عامة يشترك فيها مع تلاميذه. ولكن من الواضح أن التلاميذ قد سمعوا صرخات وطِلبات وتضرُّعات المُعلِّم، مُناجيًّا الآب عنهم، كأبٍ لهذه العائلة، ورأس لهذا البيت. وبلا شك، رغم حفظ التلاميذ للكثير من الصلوات من العهد القديم أو من خلال التقليد اليهودي، لكن سؤال أحد التلاميذ: «يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ»، يكشف عما رآه التلاميذ في السيد المسيح وهو يُصلِّي، أدركوا

[٣٢] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ط٢، ترجمة نصحي عبد الشهيد، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: ٢٠٠٧)، ٣٤٠-٣٤٣.

صورة جديدة لم يتذوَّقوها من قبل في عباداتهم، فاشتهوا أن يحملوا ذات الفكر والروح الواحد.

ولقد جاء مصدر الفعل «نُصَلِّيَ»، في زمن المضارع المبني للمتوسط Προσεύχεσθαι ، وهو يُشير إلى كلمات الصلاة، كما يُشير أيضًا إلى طريقة الصلاة[٣٣]. فالصورة الورعة التي كان عليها الرب يسوع في الصلاة، قد حرَّكت الورع في التلاميذ أيضًا. فإنَّ كل الأفعال، سواء كانت صالحة أو شريرة، هي مُعديَّة بطبعها؛ فتجذب الأفعال الشريرة الأشرار، والصالحة تجذب وتُلهِم القديسين والأطهار. فالتجربة هي فقط التي تستطيع أن تشهد إن كان التأثير الأكبر في الآخرين هو عن طريق التأثير غير المُباشِر للأفعال، أم هو ثمرة للإقناع الشفوي. ولكن هنا يمكن أن نتَّفِق معًا على أن التأثير عن طريق الإقناع الشفوي لم يكن يُجدي لولا النموذج الحي الذي أعطاهم إيّاه السيد المسيح[٣٤]. إذن، فسؤال التلاميذ عن كيفيَّة الصلاة، أتى بعدما تعلَّموا أكثر من نصف الدرس عندما رأوا السيد المسيح وهو يُصلِّي. إنَّ البشيرين لم يتوانوا أبدًا في تمجيد حياة المُعلِّم في بشائرهم، ولكنهم اتَّفقوا على أن إظهار أحداث حياته أهم من تمجيدها. فالسيد المسيح، في طريقه للصلب، لم يُعطي الجموع وصيَّة عن الاحتمال، ولكنه كان نموذج للاحتمال؛ وعلى الصليب، لم يتكلَّم عن الحب، ولكنه كان هو الحب ذاته مُتجليًّا، كما لم يكن من قبل.

كذلك، فإن سؤال التلاميذ هذا، يُبطِن في طيَّاته بعضًا مما أدركوه عن طبيعة الصلاة الحقيقيَّة. فقد سمع ورأى التلاميذ المُعلِّم وهو يُصلّي؛ وقد شهدوا حماسته فيها، ووقاره، وأنَّاته، وربما لمحة من سمو روحه أثناء تضرُّعاته، فانفتحت مداركهم ليفهموا كنه هذه الطبيعة، فقد ظهرت لهم الصلاة بوجه جديد عليهم، وأدركوا، ربما لأول مرة، أن الصلاة هي عمل القلب، ولأنهم قد وعوا أنَّ قلوبهم لم تنخرط حتى الآن في هذا العمل، كان سؤالهم: «يَا رَبُّ

[33] Spence-Jones, H. D. M.: *The Pulpit Commentary: St. Luke Vol.*, (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2004), 310.
[34] Ibid., 316.

عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ». لقد ابتغوا أن تُصبح صلواتهم في المستقبل ذات سمة روحيَّة، ويُدركوا، فوق ذلك، كنه معناها وموضوعها.

ولقد رأى بعض المُفسِّرين، أن هناك بعض المُقاربات الممكنة بين الصلاة الربَّانيَّة وبعض الصلوات اليهوديَّة التي كانت تُتلَى في المجامع في ذلك الوقت، وفي مُقدِّمتها "البركات" الثماني عشرة وصلاة "قدّيش" Kaddish التي لها مكانة كبرى فيما بين الصلوات اليهوديّة[٣٥]. أمّا عن بنيَّة الصلاة الربَّانيَّة، فتتكوَّن، بدايةً، بابتهال احتفالي: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (لو١١: ٢)، ثم ثلاث أُمنيَّات موّجَّهة إلى الله بضمير المُخاطَب: «لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ»، «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ»، «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ». ثم عبارة وصل: «كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ»، وهي تشمل الثلاث أُمنيَّات؛ فنحن نتمنَّى أن يكون اسم الله مُقدَّسًا على الأرض كما في السماء، وأن يأتي ملكوته على الأرض كما في السماء، وأن تتمّ مشيئته على الأرض كما في السماء. ثم تأتي بعد ذلك ثلاث طِلبات تختص بالإنسان في صيغة المُتكلِّم الجمع: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ» (١١: ٣)، «وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا»، «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ» (١١: ٤).

ختامًا:

إن كان السيد المسيح، وهو الطاهر القدوس، قد صلَّى، فكم بالحري نحتاج، نحن الخطاة، للصلاة؛ لقد صلَّى، وهو القوي، فكم بالحري نحن الضعفاء؛ لقد صلَّى، الفائق الحكمة، فكم بالحري نحن الجهَّال. إن كان المُعلِّم لم يجتَز الاختبارات والتجارب دون أن يُدوِّزن أوتار روحه أولاً، ويُجدِّد قوته في حضرة أبيه، فكم بالحري نحتاج، نحن الضعفاء، إلى تزويد أنفسنا بالأسلحة الروحيَّة، قبل ولوج غدٍ مُبهَم وخطِر، عن طريق انسكاب أرواحنا بين يديِّ الله، طالبين القوة من موارده غير المحدودة.

[35] Freeman, James M.; Chadwick, Harold J.: *Manners & Customs of the Bible*, (North Brunswick, NJ: Bridge-Logos Publishers, 1998), 413.

لقد صلَّى السيد المسيح، وهو قدوسٌ وطاهرٌ وبلا خطية وحده؛ صلَّى وهو لم يكن مُحتاجًا إلى الصلاة من أجل مغفرة الخطايا، أو التوسُّل من أجل الرحمة، أو التضرُّع من أجل طهارة القلب. ومع ذلك، فقد صلَّى؛ وأصبحت الصلاة جزءً منه، مُعبِّرًا فيها عن امتنانه للآب الذي أرسله ليُعلِن حبه للبشر، مُقدِّمًا شكره له بصفته مُمثِّلاً عنّا أمامه، مُعلِنًا عن حبه لمَن قد سُرَّ به لحمله رسالة الرحمة للبشر، طالبًا الارشاد والدعم تحت اليد العالية. هذه الصلوات ستُصبح جزءٌ منّا في الملكوت السماوي؛ فهناك حينما لن يكون هناك خطية لنعترف بها، أو غفران لنطلبه، سنظل في حاجة إلى الروح القدس للتعبير عن امتناننا وشكرنا وحبنا؛ طالبين احتواءنا بين يديِّ الله القويَّة، والتي نحتاج إليها في كل زمان وإلى دهر الداهرين، آمين

يُتبَع